

ويثبت العنصر الأصيل ليبيني ذاكرة النص. ولكن قبل ذلك سأقف وقفة على ذاكرة الراوي وما أحدثته من أحكام وفهم وتفسير. أو لنقل ما أحدثته من سوء أحكام وسوء فهم وسوء تفسير.

2- ذاكرة الراوي:

جاءنا الشعر الجاهلي بواسطة الرواة الذين كانت الذاكرة هي أداتهم الفاعلة، وهذا يعني أننا نتعامل مع (الذاكرة) وليس مع أي عامل مادي أو عقلي آخر. ومن شأن الذاكرة أن تكون انتقائية ومتذوقة، وتفرض حينئذٍ حسّها الذوقي على ما تنتقيه من شعر منقول. ويصحّ هنا أن نقول إن ما نقرؤه من الشعر الجاهلي هو مختارات الرواة. على أننا أمام نوعين من الرواة ومستويين من النقل. فلدينا الرواة الأعراب، أبناء الصحراء، ولدينا العلماء الذين دونوا الشعر وتسمّوا باسم الرواة مثل الأصمعي وغيره. والانتقاء إذن يمرّ بمرحلتين من الرواية الأعرابي إلى الرواية المدوّن. ومن ذاكرة إلى ذاكرة وذائقة إلى ذائقة، ممّا يشكل ذاكرة مصفاة ومنتقاة، وهي بعد ذلك كله ذاكرة بشرية. وبما أنه كذلك فهو صورة لهذه الذاكرة. ومن هذا الشعر سوف نعرف حقيقة الأداة الناقلة، مثلما أننا سوف نتمكن من معرفة المنقول بما أنه نصوص ماثلة. وهذا الشعر إذن أثر لشيئين هما الناقل والمنقول وسنجد الاثنين معاً داخل هذا الشعر. والمطلوب منّا هو الفرز والتمييز بين الفعل الشعري داخل القصيدة، وبين الفعل الإنتقائي الذوقي فيها، أي بين ذاكرة النص وذاكرة الراوي.

ولا ريب أن الرواية هي ضرب من التفسير ومن النقد، مثلما